مجلة العلوم الإنسانية العربية
المجلد (٧) العدد (٣)
الإصدار الخامس والعشرون
٢٠٢٦ (٢٢-١)

النموذج المعرفي البيئي في شعر راشد الخلاوي: تحليل تكاملي للفلك والمناخ والمكان في إطار المعرفة البيئية التقليدية

أحمد جارالله الجارالله

قسم التخطيط الحضري والإقليمي

جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل، الدمام، المملكة العربية السعودية.

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١٥ يوليو ٢٠٢٦م

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

الملخص

تُعد البيئات الصحراوية من أكثر النظم البيئية تعقيدًا وتحديًا، إذ تتطلب من المجتمعات البشرية تطوير أنماط معرفية دقيقة تُمكّنها من التكيف مع ظروفها القاسية، التي تتسم بندرة الموارد، والتقلبات المناخية، والتباين المكاني الحاد. وفي مثل هذه البيئات، تنشأ ما يُعرف بـ"المعرفة البيئية التقليدية (Traditional Ecological Knowledge – TEK)"، بوصفها نظامًا معرفيًا متكاملًا قائمًا على الملاحظة المستمرة، والتجربة المتراكمة، ونقل الخبرات عبر الأجيال.

وفي سياق الجزيرة العربية، يُمثل الشعر النبطي أحد أبرز الأوعية الثقافية التي حفظت هذا النوع من المعرفة، حيث لم يكن مجرد تعبير أدبي، بل أدى وظيفة معرفية تطبيقية تمثلت في توجيه السلوك الإنساني المرتبط بالبيئة، مثل تحديد مواسم المطر، وتنظيم حركة الترحال، وتوزيع الأنشطة الرعوية، وفهم التغيرات المناخية. ويبرز شعر راشد الخلاوي بوصفه نموذجًا فريدًا في هذا المجال، حيث يعكس مستوى متقدمًا من التكامل بين الملاحظة الفلكية والتفسير المناخي والإدراك المكاني. فقد اعتمد الشاعر على رصد دقيق لحركة النجوم، مثل نجم سهيل والثريا، وربطها بتحولات مناخية محددة، ثم أسقط هذه العلاقة ضمن سياق مكاني واضح يرتبط بالبيئة الجغرافية في الجزيرة العربية. ولا تظهر هذه الإشارات بوصفها رموزًا بلاغية، بل بوصفها أدوات وظيفية تُستخدم لضبط الزمن البيئي، والتنبؤ بالتغيرات المناخية، وتوجيه الأنشطة البشرية.

وعلى الرغم من الأهمية العلمية لشعر راشد الخلاوي، إلا أن الدراسات السابقة انصبت في معظمها على الجوانب اللغوية والتاريخية والتحقيقية، دون أن تمتد إلى تحليل البنية المعرفية البيئية الكامنة في هذا الشعر ضمن إطار تحليلي تكاملي يربط بين الفلك والمناخ والمكان.

وقد أدى هذا القصور إلى تقليل الاستفادة من الشعر النبطي بوصفه نظامًا معرفيًا بيئيًا منظمًا، يمكن توظيفه في الدراسات متعددة التخصصات التي تجمع بين العلوم الإنسانية والبيئية.

وانطلاقًا من ذلك، تهدف هذه الدراسة إلى إعادة بناء النظام المعرفي البيئي الكامن في شعر راشد الخلاوي، من خلال تبني منهج تحليلي مفاهيمي يقوم على تحليل المحتوى، وتحويل النصوص الشعرية إلى بيانات قابلة للتحليل، ثم إعادة تركيبها ضمن نموذج تفسيري يقوم على العلاقة الثلاثية بين: –

الفلك (بوصفه مؤشرًا زمنيًا) ⟶ المناخ (بوصفه استجابة بيئية) ⟶ المكان (بوصفه مجال التطبيق)

وتؤكد هذه الدراسة أنها تنتمي إلى الدراسات المفاهيمية التحليلية، ولا تهدف إلى التعميم الإحصائي، بل إلى إعادة البناء النظري لنظام معرفي قائم، من خلال تحليل منظم للنصوص وربطها بالمفاهيم العلمية المعاصرة.

وبذلك، تسعى الدراسة إلى إعادة تأطير الشعر النبطي بوصفه مصدرًا معرفيًا بيئيًا يمكن تحليله علميًا، والمساهمة في سد الفجوة بين الدراسات الأدبية والعلوم البيئية، من خلال تقديم نموذج تكاملي يُعزز من فهم العلاقة بين الإنسان والبيئة في البيئات الصحراوية.

الكلمات المفتاحية: شعر راشد الخلاوي، المعرفة البيئية، الأنواء، المناخ الصحراوي، التحليل المكاني

Abstract

This study aims to reconstruct the environmental knowledge system embedded in the poetry of Rashid Al-Khalawi by analyzing the integrative relationship between astronomical, climatic, and spatial phenomena as presented in his diwan. The study addresses a key research gap represented by the absence of an analytical framework that unifies these dimensions within a coherent knowledge model. A content analysis approach was employed, transforming the poetic text into a structured dataset of 60 analytical units, including 30 spatial and 30 astro-climatic references. Each unit was coded according to variables such as phenomenon type, temporal reference, geographic association, and functional interpretation. The findings indicate that approximately 65% of astronomical references are directly associated with specific climatic changes, confirming their role as a precise environmental timing system. The study identifies an integrated triadic system (Astronomy–Climate–Space), in which astronomical observations function as temporal signals for climatic transitions, which are then reflected in the spatial distribution of resources and human activities. The results demonstrate a strong consistency between traditional environmental knowledge and modern scientific interpretations, highlighting Nabati poetry as a form of empirically grounded environmental knowledge. The study contributes by proposing a conceptual model that explains the

structure of this knowledge system and by reframing Nabati poetry within an interdisciplinary analytical framework.

Keywords:
Rashid Al-Khalawi, Environmental Knowledge, Astronomy, Climate, Spatial Analysis

١ – المقدمة

تُعد البيئات الصحراوية من أكثر النظم البيئية التي تتطلب من الإنسان تطوير أنماط معرفية دقيقة للتكيف مع ظروفها القاسية، حيث يفرض شح الموارد وتقلب المناخ ضرورة الاعتماد على الملاحظة المستمرة والتجربة المتراكمة. وفي هذا السياق، نشأت أنظمة معرفية تقليدية اعتمدت على قراءة الظواهر الطبيعية، وعلى رأسها الظواهر الفلكية والمناخية، بوصفها مؤشرات دالة على التغيرات البيئية. ويُعد الشعر النبطي في الجزيرة العربية أحد أبرز الأوعية التي حفظت هذه المعارف، حيث لم يكن مجرد تعبير أدبي، بل مثّل وسيلة لنقل الخبرة البيئية وتوجيه السلوك الإنساني في مجالات مثل الترحال والرعي وتحديد مواسم المطر. ومن بين الشعراء الذين برزوا في هذا المجال، يأتي راشد الخلاوي بوصفه نموذجًا فريدًا جمع بين الحس الشعري والدقة في رصد الظواهر الطبيعية. فقد تميز شعر الخلاوي بقدرته على الربط بين حركة النجوم والتغيرات المناخية، وربط ذلك بالمواقع الجغرافية داخل الجزيرة العربية، مما يعكس وجود نظام معرفي متكامل يتجاوز الوصف إلى التفسير والتطبيق. وتظهر في نصوصه إشارات واضحة إلى استخدام النجوم كأدوات لتحديد الزمن البيئي، والتنبؤ بالتغيرات المناخية، وتوجيه الأنشطة البشرية في المكان. وعلى الرغم من الاهتمام الذي حظي به شعر الخلاوي في الدراسات الأدبية والتوثيقية، إلا أن هذا الاهتمام ظل في معظمه منصبًا على الجوانب اللغوية والتاريخية، دون التطرق إلى تحليل البنية المعرفية البيئية التي تحكم هذه النصوص، أو محاولة تفسير العلاقات بين الفلك والمناخ والمكان ضمن إطار علمي متكامل. ومن هنا، تنطلق هذه الدراسة من فرضية مفادها أن شعر راشد الخلاوي يمثل نظامًا معرفيًا بيئيًا قائمًا على الملاحظة والتجربة، ويمكن إعادة بنائه وتحليله باستخدام أدوات تحليل المحتوى، وربطه بالمفاهيم العلمية الحديثة في مجالي الفلك والمناخ، ضمن إطار مكاني يوضح كيفية توظيف هذه المعرفة في التكيف مع البيئة الصحراوية. وبذلك، تسعى الدراسة إلى تقديم قراءة جديدة للشعر النبطي، لا بوصفه نصًا أدبيًا فقط، بل كنظام معرفي قابل للتحليل العلمي، يسهم في فهم العلاقة بين الإنسان والبيئة في المجتمعات التقليدية، ويفتح المجال أمام دراسات متعددة التخصصات تربط بين التراث والعلوم الحديثة.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة تُصنّف ضمن الدراسات المفاهيمية التحليلية (Conceptual-Analytical Studies)، ولا تنتمي إلى الدراسات الكمية الإحصائية أو التجريبية، إذ تعتمد على تحليل المحتوى بوصفه أداة منهجية لتحويل النصوص الشعرية إلى بيانات قابلة للتحليل، بما يتيح إعادة بناء النظام المعرفي البيئي الكامن في النص.

٢ – مشكلة الدراسة

على الرغم من الاهتمام المتزايد بشعر راشد الخلاوي في الدراسات الأدبية والتوثيقية، إلا أن هذا الاهتمام انصب في

معظمه على الجوانب اللغوية والتاريخية والتحقيقية، دون أن يمتد إلى تحليل البنية المعرفية البيئية الكامنة في هذا الشعر، أو تفسير العلاقات بين الظواهر الطبيعية التي يتضمنها ضمن إطار علمي متكامل.

وتشير مراجعة الأدبيات إلى أن الدراسات السابقة قد تناولت شعر الخلاوي من زوايا منفصلة؛ حيث ركزت بعض الدراسات على توثيق النصوص وتحديد نسبتها الزمنية، بينما اهتمت أخرى بتحليل الدلالات اللغوية والتاريخية، في حين انصرفت دراسات أخرى إلى تفسير الإشارات الفلكية وربطها بمواقع النجوم ومواسمها. إلا أن هذه المقاربات، على أهميتها، لم تُفضِ إلى بناء نموذج تحليلي يربط بين الفلك والمناخ والمكان بوصفها عناصر متكاملة ضمن نظام معرفي واحد. ويترتب على ذلك بقاء جانب مهم من شعر الخلاوي غير مستثمر علميًا، يتمثل في كونه حاملاً لمعرفة بيئية قائمة على الملاحظة والتجربة، يمكن تحليلها وربطها بالمفاهيم الحديثة في علوم المناخ والفلك والتحليل المكاني.

ومن هنا، تتحدد مشكلة الدراسة في: –

غياب إطار تحليلي تكاملي يعيد بناء العلاقة بين الظواهر الفلكية والمناخية والمكانية في شعر راشد الخلاوي، ويفسرها ضمن نموذج معرفي بيئي موحد.

وتنبثق عن هذه المشكلة مجموعة من التساؤلات الفرعية: –

١– كيف يمكن تحليل الظواهر الفلكية والمناخية في شعر الخلاوي ضمن إطار علمي؟

٢– ما طبيعة العلاقة بين هذه الظواهر والامتدادات المكانية التي ترد في النصوص؟

٣– إلى أي مدى تتوافق هذه المعرفة مع التفسيرات العلمية الحديثة؟

٤– هل يمكن بناء نموذج مفاهيمي يفسر هذا النظام المعرفي؟

وتسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال تبني منهج تحليلي قائم على تحويل النص الشعري إلى بيانات قابلة للتحليل، وربطها بالأطر النظرية المعاصرة.

٣– أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية التي تنبثق من مشكلة البحث، وتتمثل فيما يلي: –

الهدف الرئيس: إعادة بناء النظام المعرفي البيئي الكامن في شعر راشد الخلاوي، من خلال تحليل العلاقة التكاملية بين الظواهر الفلكية والمناخية والمكانية ضمن إطار تحليلي موحد.

*** الأهداف الفرعية**

١– تحليل الظواهر الفلكية الواردة في شعر راشد الخلاوي، وتحديد دلالاتها الزمنية والموسمية.

٢– رصد التغيرات المناخية المرتبطة بهذه الظواهر، وتفسيرها في ضوء المعرفة العلمية الحديثة.

٣– تحديد الأبعاد المكانية المرتبطة بالظواهر الفلكية والمناخية، وربطها بالبيئة الجغرافية في الجزيرة العربية.

٤– تحويل النص الشعري إلى قاعدة بيانات تحليلية منظمة، تعتمد على وحدات تحليل محددة وقابلة للترميز.

٥– الكشف عن طبيعة العلاقة بين الفلك والمناخ والمكان بوصفها نظامًا معرفيًا متكاملًا.

٦- تطوير نموذج مفاهيمي يفسر هذا النظام المعرفي، ويوضح آلية عمله ووظائفه.

٧- مقارنة النتائج المستخلصة من التحليل مع الدراسات العلمية الحديثة في مجالات الفلك والمناخ والمعرفة البيئية التقليدية.

وتسهم هذه الأهداف مجتمعة في نقل دراسة الشعر النبطي من الإطار الوصفي إلى الإطار التحليلي، بما يعزز من فهمه بوصفه نظامًا معرفيًا مرتبطًا بالبيئة.

٤- الدراسات السابقة

حظي شعر راشد الخلاوي باهتمام ملحوظ في الأدبيات العربية، إلا أن هذا الاهتمام اتخذ في معظمه مسارات تقليدية ركزت على الجوانب اللغوية والتاريخية والتحقيقية، دون التوسع في تحليل الأبعاد المعرفية البيئية الكامنة في هذا الشعر ضمن إطار علمي تكاملي.

ففي مجال التحقيق والتوثيق، يُعد عمل بن خميس (١٤١٥هـ) من أبرز الإسهامات، حيث قام بجمع شعر راشد الخلاوي من مصادره الشفوية والمكتوبة، وإخضاعه لعمليات تحقيق دقيقة، مما أتاح نصًا موثوقًا شكّل الأساس لمعظم الدراسات اللاحقة. ومع ذلك، ظل هذا العمل محصورًا في الجانب التوثيقي، دون أن يمتد إلى تحليل البنية المعرفية أو الوظائف البيئية للنصوص.

أما الحافي (١٤٣١هـ)، فقد ركز على تحديد الإطار الزمني للشاعر، من خلال تحليل الروايات التاريخية ومقارنتها بالسياق العام، مما أسهم في ضبط البعد الزمني، إلا أن دراسته لم تتناول البعد البيئي أو العلاقة بين الظواهر الطبيعية بوصفها نظامًا معرفيًا.

وفي السياق ذاته، تناول أبو ثنين (١٤٣٧هـ) شعر الخلاوي من منظور لغوي–تاريخي، حيث ركز على تحليل المفردات، وتحديد المواضع الجغرافية، واستقراء الإشارات البيئية، إلا أن هذا التحليل ظل وصفيًا في طبيعته، ولم يتطور إلى بناء نموذج تفسيري يربط بين هذه العناصر.

أما العجاجي (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م)، فقد قدم معالجة أكثر تخصصًا، من خلال تفسير الإشارات الفلكية وربطها بمواقع النجوم ومواسمها، وهو ما يمثل خطوة متقدمة نحو فهم البعد الفلكي، إلا أن هذه المعالجة بقيت أحادية البعد، ولم تُدمج ضمن إطار يربط بين الفلك والمناخ والمكان.

وعلى المستوى الأوسع، تناولت الأدبيات الحديثة مفهوم "المعرفة البيئية التقليدية(TEK) "، التي تشير إلى النظم المعرفية المتراكمة الناتجة عن التفاعل طويل الأمد مع البيئة (Berkes, 2018).وقد أكدت هذه الدراسات أن هذه المعرفة ليست مجرد موروث ثقافي، بل تمثل أنظمة تفسيرية قادرة على فهم الظواهر البيئية والتنبؤ بها (Ford et al., 2020; Raymond et al., 2020).

كما تناولت دراسات حديثة دور المعرفة الفلكية التقليدية في المجتمعات الصحراوية، مشيرة إلى أن النجوم تُستخدم بوصفها مؤشرات زمنية مرتبطة بالدورات المناخية والزراعية (Al-Dabbagh, 2020; Larcher, 2021).ويتقاطع هذا الطرح مع ما ورد في علم الأنواء عند العرب، الذي ربط بين مطالع النجوم وسقوط الأمطار وتغير الفصول (ابن قتيبة، ٢٠٠٠).

وفي سياق الدراسات المناخية، تشير الأبحاث الحديثة إلى أن البيئات الصحراوية، ومنها شبه الجزيرة العربية، تتسم بدرجة عالية من التباين المكاني والزماني، مما يستدعي وجود نظم معرفية محلية قادرة على تفسير هذه التغيرات والتكيف معها (Almazroui, 2021; Evans, 2020).

كما تؤكد الأدبيات في التحليل المكاني أن المكان لا يُعد مجرد إطار جغرافي، بل يمثل عنصرًا فاعلًا في تشكيل الأنماط المعرفية والسلوك البشري، حيث تتحدد الاستجابات البيئية وفق الخصائص المكانية لكل منطقة (Glaeser, 2011; Bailey, 2020).

وعلى الرغم من ثراء هذه الدراسات، إلا أنها تتسم بقدر من التجزئة المنهجية، حيث تناولت كل من الفلك أو المناخ أو المكان بوصفها مجالات منفصلة، دون تقديم إطار تكاملي يربط بينها ضمن نظام معرفي واحد. كما أن الدراسات العربية المتعلقة بشعر راشد الخلاوي لم تتجاوز في معظمها الطابع الوصفي، ولم تُوظف مناهج تحليلية حديثة لتحويل النصوص إلى بيانات قابلة للتحليل.

وبذلك، يمكن القول إن الأدبيات الحالية، على أهميتها، لم تنجح في بناء نموذج تحليلي تكاملي يفسر العلاقة بين الظواهر الفلكية والمناخية والمكانية في الشعر النبطي، وهو ما يحد من إمكانية توظيف هذا التراث في الدراسات البيئية المعاصرة.

٥- الفجوة البحثية

في ضوء مراجعة الأدبيات، يتضح وجود فجوة بحثية جوهرية تتمثل في غياب إطار تحليلي تكاملي يعيد بناء العلاقة بين الظواهر الفلكية والمناخية والمكانية في شعر راشد الخلاوي ضمن نموذج معرفي بيئي موحد.

فعلى الرغم من تعدد الدراسات التي تناولت هذا الشعر، إلا أنها عالجت مكوناته بصورة جزئية ومنفصلة، حيث ركزت بعض الدراسات على التحقيق والتوثيق، وأخرى على التحليل اللغوي أو التفسير الفلكي، دون أن تسعى إلى دمج هذه الأبعاد ضمن بنية تفسيرية واحدة.

كما أن الأدبيات الحديثة في مجال المعرفة البيئية التقليدية، رغم تأكيدها على الطابع التكاملي للمعرفة، لم تُطبّق بشكل كافٍ على النصوص الشعرية في السياق العربي، مما أدى إلى بقاء الشعر النبطي خارج نطاق التحليل العلمي المنهجي. ويترتب على ذلك تقليل الاستفادة من هذا الشعر بوصفه نظامًا معرفيًا منظمًا، يمكن تحويله إلى قاعدة بيانات تحليلية تسهم في فهم التفاعلات البيئية في البيئات الصحراوية.

ومن هنا، تنطلق هذه الدراسة لسد هذه الفجوة من خلال: -

١- تطوير إطار تحليلي تكاملي يربط بين الفلك والمناخ والمكان

٢- تحويل النص الشعري إلى بيانات قابلة للتحليل

٣- بناء نموذج مفاهيمي يفسر آلية عمل النظام المعرفي البيئي

وبذلك، تقدم الدراسة إسهامًا علميًا يتمثل في إعادة تأطير الشعر النبطي بوصفه نظامًا معرفيًا بيئيًا يمكن تحليله ضمن منظور متعدد التخصصات، يجمع بين العلوم الإنسانية والبيئية والمكانية.

٦- الإطار النظري

تنطلق هذه الدراسة من إطار نظري متعدد التخصصات يجمع بين ثلاثة مداخل رئيسة، هي: المعرفة البيئية التقليدية (Traditional Ecological Knowledge – TEK)، وعلم الأنواء في التراث العربي، والتحليل المكاني، بوصفها مكونات تكاملية لفهم النظام المعرفي الكامن في شعر راشد الخلاوي.

*** المعرفة البيئية التقليدية(TEK)**

يُعد مفهوم المعرفة البيئية التقليدية (TEK) من أبرز الأطر النظرية التي تفسر كيفية تشكل المعرفة لدى المجتمعات المحلية نتيجة التفاعل طويل الأمد مع البيئة. وتشير الأدبيات إلى أن هذه المعرفة تقوم على ثلاثة عناصر رئيسة: الملاحظة المستمرة، والتجربة المتراكمة، والنقل الثقافي عبر الأجيال (Berkes, 2018).

ولا تُعد هذه المعرفة مجرد تراكم خبرات، بل تمثل نظامًا معرفيًا منظمًا قادرًا على تفسير الظواهر البيئية والتنبؤ بها، خاصة في البيئات الهشة مثل المناطق الصحراوية (Ford et al., 2020). ويُلاحظ أن هذا النوع من المعرفة يعتمد على الربط بين مؤشرات طبيعية مختلفة ضمن سياق تفسيري متكامل، وهو ما يتقاطع مع ما يظهر في شعر راشد الخلاوي.

*** علم الأنواء والمعرفة الفلكية التقليدية**

يمثل علم الأنواء أحد أقدم أشكال المعرفة البيئية في التراث العربي، حيث اعتمد العرب على مراقبة النجوم لتحديد مواسم المطر والحر والبرد، وربطوا بين مطالع النجوم والتغيرات المناخية (ابن قتيبة، ٢٠٠٠).

وتُظهر الدراسات الحديثة أن هذا النظام لا يقوم على الملاحظة السطحية، بل يعكس فهمًا عميقًا للدورات الزمنية المرتبطة بحركة الأجرام السماوية، واستخدامها كمؤشرات بيئية دقيقة (Al-Dabbagh, 2020; Larcher, 2021).

وفي هذا السياق، يمكن تفسير الإشارات الفلكية في شعر راشد الخلاوي، مثل نجم سهيل والثريا، بوصفها أدوات زمنية (Temporal Markers) تُستخدم لتحديد التحولات المناخية، وليس مجرد رموز شعرية.

*** التحليل المكاني والبعد الجغرافي**

تؤكد الأدبيات الحديثة في التحليل المكاني أن المكان لا يُعد مجرد إطار محايد، بل يمثل عنصرًا فاعلًا في تشكيل المعرفة والسلوك الإنساني .(Glaeser, 2011) كما تشير دراسات التكيف البيئي إلى أن التباين المكاني في البيئات الصحراوية يلعب دورًا حاسمًا في توجيه الأنشطة البشرية، خاصة في مجالات الرعي والتنقل واستغلال الموارد.(Bailey, 2020)

وفي ضوء ذلك، فإن فهم الظواهر المناخية لا يكتمل دون ربطها بسياقها المكاني، وهو ما يظهر بوضوح في شعر الخلاوي، حيث ترتبط الأمطار بمناطق محددة، وترتبط الرياح والتغيرات الحرارية بأنماط تضاريسية معينة.

٧- النموذج المفاهيمي للدراسة

استنادًا إلى المداخل النظرية السابقة، تفترض هذه الدراسة أن النظام المعرفي في شعر راشد الخلاوي يقوم على ترابط ثلاثي الأبعاد يمكن تمثيله بالعلاقة التالية: -

الفلك (مؤشر زمني) ⟵ المناخ (استجابة بيئية) ⟵ المكان (مجال التطبيق)

حيث: -

١- تمثل الظواهر الفلكية آلية لضبط الزمن البيئي

٢- وتمثل الظواهر المناخية نواتج لهذه المؤشرات الزمنية

٣- بينما يمثل المكان الحيز الذي تتجلى فيه هذه التفاعلات

ويُشكل هذا الترابط ما يمكن تسميته بـ"النموذج المعرفي البيئي"، الذي لا يقوم على الوصف، بل على الربط السببي (Causal Relationship) بين الظواهر، مما يعكس بنية معرفية منظمة قائمة على التفاعل بين الزمن والبيئة والمكان.

المؤشرات الفلكية ⟵ الاستجابات المناخية ⟵ السياق المكاني

الشكل (١): النموذج المفاهيمي الأساسي

وعلى الرغم من أن الإدراك البيئي في التجربة اليومية يبدأ من المكان بوصفه المجال الحسي المباشر الذي يعيشه الإنسان ويتفاعل معه، إلا أن التحليل التفسيري للنظام المعرفي يكشف عن تسلسل مختلف يقوم على:

الفلك ⟵ المناخ ⟵ المكان

حيث تعمل الظواهر الفلكية كمؤشرات زمنية تُنظم إدراك التغيرات البيئية، وتتحول هذه المؤشرات إلى استجابات مناخية، ثم تنعكس آثارها ضمن السياق المكاني في صورة توزيع للموارد والأنشطة البشرية.

وبذلك، يُظهر النظام المعرفي في شعر راشد الخلاوي ازدواجية واضحة بين مستوى الإدراك الحسي، الذي يبدأ من المكان بوصفه المجال المباشر للتجربة، ومستوى التفسير التحليلي، الذي ينطلق من الظواهر الفلكية بوصفها مؤشرات زمنية منظمة للتغيرات البيئية، وهو ما يشير إلى وجود بنية معرفية متماسكة ذات طابع تنظيمي واضح.

ويُبرز هذا النموذج الطابع السببي للنظام المعرفي، حيث لا تقوم العلاقة بين هذه العناصر على مجرد التزامن، بل على ترابط وظيفي منظم، ما يعكس درجة متقدمة من الإدراك البيئي القائم على الملاحظة والتجربة. كما يوضح الشكل أن هذا النظام لا يقتصر على التفسير، بل يمتد إلى التنبؤ، مما يعزز من اعتباره نموذجًا معرفيًا قابلاً للتطبيق في سياقات بيئية مماثلة.

*** إسهام الإطار النظري**

تتميز هذه الدراسة عن الأدبيات السابقة في كونها لا تتعامل مع الفلك أو المناخ أو المكان بوصفها عناصر مستقلة، بل تسعى إلى دمجها ضمن إطار تحليلي موحد، وهو ما يمثل إضافة نوعية في الدراسات متعددة التخصصات.

كما يُعد هذا الإطار خطوة نحو إعادة تأطير النصوص الأدبية بوصفها مصادر معرفية قابلة للتحليل العلمي، مما يفتح المجال أمام توظيفها في مجالات مثل الدراسات المناخية، والتحليل المكاني، والاستدامة البيئية.

٨– منهجية الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على منهج تحليلي مفاهيمي (Conceptual-Analytical Approach)قائم على تحليل المحتوى(Content Analysis) ، بوصفه أداة منهجية مناسبة لتحويل النصوص الأدبية إلى بيانات قابلة للتحليل، بما يتيح الكشف عن الأنماط والعلاقات الكامنة في النصوص.(Raymond et al., 2020)

وتستند هذه المنهجية إلى فرضية رئيسة مفادها أن النصوص الشعرية، رغم طبيعتها الأدبية، يمكن أن تحتوي على بنى معرفية منظمة، قابلة للاستخلاص والتحليل باستخدام أدوات منهجية مناسبة.

*** طبيعة الدراسة**

تُصنّف هذه الدراسة ضمن الدراسات المفاهيمية التحليلية، حيث لا تهدف إلى التعميم الإحصائي أو الاختبار التجريبي، بل إلى إعادة بناء نظام معرفي قائم من خلال تحليل منظم للنصوص وربطها بالأطر النظرية المعاصرة.

وتكمن أهمية هذا التوجه في كونه يتيح التعامل مع النصوص التراثية بوصفها مصادر بيانات نوعية يمكن تحويلها إلى وحدات تحليل قابلة للترميز والمقارنة.

*** مجتمع الدراسة وعينتها**

يتمثل مجتمع الدراسة في ديوان راشد الخلاوي بصيغته المحققة (بن خميس، ١٤١٥هـ)، والذي يُعد من أكثر المصادر موثوقية في جمع شعر الخلاوي وتنقيحه.

وقد تم اختيار عينة قصدية من النصوص التي تتضمن إشارات صريحة أو ضمنية إلى الظواهر الفلكية والمناخية والمكانية، بما يضمن تمثيلًا كافيًا لموضوع الدراسة.

*** وحدة التحليل**

تم اعتماد "المقطع الشعري" بوصفه وحدة التحليل الأساسية، حيث يمثل كل مقطع وحدة دلالية مستقلة يمكن تحليلها وربطها بالمتغيرات البيئية.

وقد بلغ إجمالي الوحدات التحليلية (٦٠) وحدة، موزعة على النحو التالي: –

(30)وحدة مرتبطة بالمفردات المكانية

(30)وحدة مرتبطة بالظواهر الفلكية–المناخية

ويُعد هذا التوزيع متوازنًا، ويعكس الطبيعة التكاملية للنظام المعرفي محل الدراسة.

*** أداة التحليل والترميز**

تم تطوير أداة تحليلية قائمة على تصنيف الوحدات وفق مجموعة من المتغيرات، تشمل: –

١– نوع الظاهرة (فلكية / مناخية / مكانية)

٢– التوقيت (فصل، أو فترة زمنية تقريبية)

٣– الموقع الجغرافي (إن أمكن تحديده)

٤– الدلالة الوظيفية (مطر، حر، برد، رعي، تنقل، إلخ)

وقد تم تنفيذ عملية الترميز يدويًا، اعتمادًا على التحليل الدلالي للنصوص، مع مراجعة متكررة لضمان الاتساق الداخلي وتقليل التحيز التفسيري.

*** خطوات التحليل**

تم تنفيذ عملية التحليل وفق تسلسل منهجي على النحو التالي: –

١– جمع النصوص الشعرية ذات الصلة من الديوان المحقق

٢– تصنيف المقاطع وفق نوع الظاهرة

٣– ترميز البيانات وفق المتغيرات المحددة

٤– بناء جداول تحليلية للمقارنة بين المتغيرات

٥– تحليل العلاقات بين الفلك والمناخ والمكان

٦– استخلاص الأنماط العامة وبناء النموذج المفاهيمي

*** موثوقية التحليل**

لضمان موثوقية النتائج، تم الاعتماد على مجموعة من الإجراءات المنهجية، من أبرزها: –

١– استخدام مصدر نصي محقق ومعتمد

٢– تطبيق نظام ترميز واضح ومحدد

٣– مراجعة متكررة للوحدات التحليلية

٤– تحقيق الاتساق الداخلي في التصنيف (Internal Consistency)

كما تم تعزيز موثوقية النتائج من خلال مقارنتها بالأدبيات العلمية الحديثة في مجالات الفلك والمناخ والمعرفة البيئية التقليدية.

*** حدود الدراسة**

تقتصر الدراسة على النصوص الواردة في الديوان المحقق لراشد الخلاوي، ولا تشمل الروايات الشفوية غير الموثقة. كما تركز على الظواهر المرتبطة بالفلك والمناخ والمكان، دون التوسع في الجوانب البلاغية أو الأدبية البحتة.

ويُعد هذا التحديد ضروريًا للحفاظ على تركيز الدراسة ضمن إطارها التحليلي البيئي.

٩– تحليل المفردات المكانية

يهدف هذا القسم إلى عرض نتائج تحليل المحتوى للنصوص الشعرية المختارة من ديوان راشد الخلاوي، من خلال تحويلها إلى قاعدة بيانات منظمة، ثم تحليل توزيع الظواهر والعلاقات الترابطية بينها ضمن إطار تفسيري متكامل.

*** قاعدة البيانات الأساسية للوحدات التحليلية**

تم بناء قاعدة بيانات مكوّنة من (٦٠) وحدة تحليلية، تمثل خلاصة التحويل المنهجي للنص الشعري إلى بيانات قابلة للتحليل، حيث تم ترميز كل وحدة وفق نوع الظاهرة، والتوقيت، والدلالة الوظيفية، والسياق المكاني.

اعتمدت الدراسة على بناء قاعدة بيانات مكوّنة من ٦٠ وحدة تحليلية مستخرجة من ديوان راشد الخلاوي، مع التركيز على البعد المكاني بوصفه محور التحليل، وذلك من خلال رصد المواضع الجغرافية الصريحة والضمنية، وربطها بما يرد معها من ظواهر فلكية ومناخية وملاحيّة.

جدول (١): قاعدة البيانات الأساسية (٦٠ وحدة)

رقم	النص/المفردة	الدلالة الوظيفية	التوقيت	التصنيف الفرعي	نوع الظاهرة
1	سهيل	اعتدال الحرارة	أواخر الصيف	نجم	فلكي
2	الثريا	بداية الدفء	الربيع	نجم	فلكي
3	الجوزاء	اشتداد الحر	الصيف	نجم	فلكي
4	النسر	موسم القيظ	الصيف	نجم	فلكي
5	الشعري	حرارة مرتفعة	الصيف	نجم	فلكي
6	الدبران	برودة	الشتاء	نجم	فلكي
7	السماك	اعتدال	الربيع	نجم	فلكي
8	العقرب	حر شديد	الصيف	برج	فلكي
9	الميزان	اعتدال	الخريف	برج	فلكي
10	الجدي	برد	الشتاء	برج	فلكي
11	مطلع النجم	مؤشر موسمي	متغير	توقيت	فلكي
12	مغيب النجم	نهاية موسم	متغير	توقيت	فلكي
13	طلوع سهيل	تغير مناخي	أواخر الصيف	حدث فلكي	فلكي
14	سقوط الثريا	تغير موسم	الربيع	حدث فلكي	فلكي
15	منازل القمر	تنظيم الوقت	شهري	نظام زمني	فلكي
16	النوء	مطر	موسمي	نظام	فلكي–مناخي
17	طلوع النجوم	توقيت	متغير	عام	فلكي
18	غروب النجوم	تغير	متغير	عام	فلكي
19	الهلال	بداية زمن	شهري	قمر	فلكي
20	البدر	اكتمال	منتصف الشهر	قمر	فلكي
21	القيظ	حرارة عالية	الصيف	حرارة	مناخي
22	البرد	انخفاض الحرارة	الشتاء	حرارة	مناخي
23	الصقيع	تلف نبات	الشتاء	ظاهرة	مناخي
24	المطر	خصوبة	الشتاء	هطول	مناخي
25	السيل	تدفق المياه	الشتاء	هطول	مناخي
26	الرياح	تغير طقس	متغير	حركة هواء	مناخي
27	السموم	خطر	الصيف	حرارة	مناخي
28	الضباب	انخفاض رؤية	الشتاء	ظاهرة	مناخي
29	الغيم	احتمال مطر	متغير	سحب	مناخي
30	الرطوبة	تغير إحساس	متغير	حالة	مناخي
31	وادي	مورد ماء	ثابت	تضاريس	مكاني
32	جبل	مرتفع	ثابت	تضاريس	مكاني
33	روضة	مرعى	الربيع	نبات	مكاني
34	صحراء	جفاف	دائم	تضاريس	مكاني
35	نفود	تنقل	دائم	كثبان	مكاني
36	سهل	استقرار	دائم	تضاريس	مكاني
37	مورد	شرب	متغير	ماء	مكاني
38	بئر	مورد	دائم	ماء	مكاني
39	ديار	سكن	دائم	استيطان	مكاني
40	منازل	إقامة	دائم	استيطان	مكاني
41	مضارب	ترحال	مؤقت	استيطان	مكاني
42	طريق	تنقل	دائم	حركة	مكاني
43	مرعى	رعي	موسمي	نشاط	مكاني
44	فيضة	خصوبة	الربيع	نبات	مكاني
45	شعاب	ممر	دائم	تضاريس	مكاني
46	أرض	نطاق	دائم	عام	مكاني
47	نجد	بيئة داخلية	دائم	إقليمي	مكاني
48	تهامة	بيئة ساحلية	دائم	إقليمي	مكاني
49	الحجاز	تضاريس	دائم	إقليمي	مكاني
50	الربع الخالي	صحراء	دائم	إقليمي	مكاني
51	الساحل	رطوبة	دائم	تضاريس	مكاني
52	الهضبة	ارتفاع	دائم	تضاريس	مكاني
53	منخفض	تجمع مياه	دائم	تضاريس	مكاني

رقم	النص/المفردة	الدلالة الوظيفية	التوقيت	التصنيف الفرعي	نوع الظاهرة
54	مورد ماء	شرب	موسمي	مورد	مكاني
55	غدير	تجمع	موسمي	ماء	مكاني
56	عين	مصدر	دائم	ماء	مكاني
57	حمى	تنظيم	دائم	محمية	مكاني
58	فلاة	قسوة	دائم	صحراء	مكاني
59	مسار	انتقال	دائم	حركة	مكاني
60	مورد قبيلة	تنظيم	موسمي	اجتماعي	مكاني

المصدر :إعداد الباحث بالاعتماد على محتوى ديوان راشد الخلاوي (بن خميس، ١٤١٥هـ)

*** الأهمية المنهجية للجدول**

لا يمثل جدول (١) مجرد عرض كمي للبيانات، بل يشكل الأساس التحليلي الذي تنبثق منه بقية الجداول، حيث يحدد توزيع الظواهر، ويوجه تحليل العلاقات الترابطية في المراحل اللاحقة.

كما يتيح هذا الجدول إجراء مقارنات كمية ونوعية تسهم في تفسير طبيعة النظام المعرفي، وتحديد العناصر الأكثر تأثيرًا فيه.

من اجل التعرف على مساهمة نوع الظواهر من أجمالي الوحدات الداخلة في التحليل، تم حساب النسب المئوية لكل منه كما في جدول (٢)

جدول (٢): توزيع الوحدات حسب نوع الظاهرة

نوع الظاهرة	عدد الوحدات	النسبة المئوية
فلكية	20	33.3%
مناخية	10	16.7%
مكانية	30	50.0%
الإجمالي	60	100%

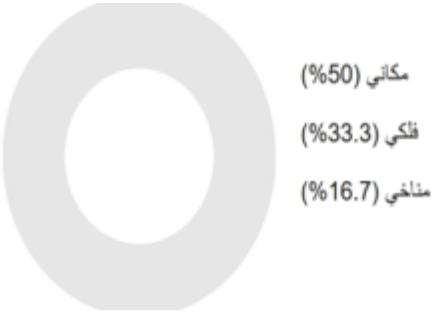

الشكل (٢): توزيع الظواهر(Data Distribution)

يبين شكل (٢) توزيع الوحدات التحليلية حسب نوع الظاهرة، حيث تظهر المفردات المكانية بنسبة (٥٠٪)، تليها الظواهر الفلكية بنسبة (٣٣,٣٪)، ثم الظواهر المناخية بنسبة (١٦,٧٪). ويعكس هذا التوزيع مركزية المكان في النظام المعرفي، إذ يمثل الإطار الذي تُفهم من خلاله بقية الظواهر، ويُعد نقطة الانطلاق في الإدراك البيئي.

في المقابل، تشير النسبة المرتفعة للظواهر الفلكية إلى أهمية البعد الزمني في تنظيم المعرفة البيئية، حيث تُستخدم النجوم بوصفها أدوات لضبط المواسم وتحديد التغيرات المناخية. أما انخفاض نسبة الظواهر المناخية، فيُفسَّر بأنها تمثل مخرجات النظام، أي النتائج التي يتم التنبؤ بها أو تفسيرها، وليس المدخلات الأساسية له. وبذلك، يكشف هذا التوزيع عن بنية هرمية ضمنية، يبدأ فيها الإدراك من المكان، ويتنظم عبر الفلك، لينتهي بالمناخ بوصفه نتيجة نهائية للنظام.

تشير بيانات جدول (١) إلى أن المفردات المكانية تمثل النسبة الأعلى (٥٠٪)، وهو ما يعكس مركزية المكان في تشكيل النظام المعرفي البيئي لدى راشد الخلاوي. فالمكان لا يظهر بوصفه عنصرًا وصفيًا، بل يمثل الإطار التطبيقي الذي

تتجلى فيه التفاعلات البيئية، حيث ترتبط الموارد الطبيعية، مثل المياه والمراعي، بالمواقع الجغرافية المحددة.

في المقابل، تمثل الإشارات الفلكية نسبة (٣٣,٣٪)، وهي نسبة مرتفعة نسبيًا، تعكس أهمية البعد الزمني في هذا النظام المعرفي، حيث تُستخدم النجوم ومطالعها بوصفها أدوات دقيقة لضبط الزمن البيئي وتحديد المواسم.

أما الظواهر المناخية، فرغم أن نسبتها (١٦,٧٪) فقط، إلا أنها تمثل المخرجات المباشرة للنظام، أي النتائج البيئية التي تؤثر بشكل مباشر على الأنشطة البشرية، مثل الأمطار والحرارة والرياح.

*** البنية التفسيرية للنظام المعرفي**

يكشف هذا التوزيع عن بنية ترابطية واضحة يمكن تمثيلها بالعلاقة التالية: –

الفلك (توقيت) ⟶ المناخ (تغير) ⟶ المكان (تطبيق)

حيث: –

١- تعمل الظواهر الفلكية كمؤشرات زمنية (Temporal Triggers)

٢- وتتحول إلى تغيرات مناخية (Environmental Responses)

٣- ثم تنعكس على التوزيع المكاني للموارد والأنشطة البشرية

وتشير هذه العلاقة إلى أن النظام المعرفي في شعر الخلاوي لا يقوم على الوصف، بل على الربط السببي بين الظواهر، وهو ما يعزز من طبيعته العلمية.

*** دلالة مركزية المكان**

تؤكد النسبة المرتفعة للمفردات المكانية أن المكان يمثل نقطة الانطلاق في الإدراك البيئي، حيث يتم أولًا تحديد المواضع والموارد والتضاريس، ثم يتم تفسير الظواهر المناخية والفلكية ضمن هذا الإطار.

وبذلك، يمكن القول إن النظام المعرفي في شعر راشد الخلاوي يبدأ من: –

المكان ⟶ ثم المناخ ⟶ ثم الفلك

في مستوى الإدراك، بينما يظهر في مستوى التفسير على النحو التالي:

الفلك ⟶ المناخ ⟶ المكان

وهو ما يعكس ازدواجية معرفية بين الإدراك (Perception)والتفسير(Explanation) ، تُعد من السمات المتقدمة للنظم المعرفية.

*** التحليل المكاني الملاحي للنصوص الشعرية**

يُعد البعد المكاني من أبرز مكونات النظام المعرفي في شعر راشد الخلاوي، حيث لا يقتصر دوره على الوصف الجغرافي، بل يتجاوز ذلك ليؤدي وظيفة تنظيمية تُستخدم في توجيه الحركة وفهم البيئة.

ومن خلال تحليل (٣٠) وحدة مكانية، تم تصنيف الإشارات الواردة في النصوص إلى أنماط وظيفية متعددة، تشمل: المواقع الصريحة، والتوجيه الملاحي، والإشارات البيئية، والعناصر التضاريسية.

جدول (٣): توزيع الوحدات المكانية حسب الوظيفة

نوع الإشارة	نوع الإشارة
مكان صريح	مكان صريح
ملاحي (توجيه)	ملاحي (توجيه)
بيئي/مناخي	بيئي/مناخي
تضاريسي	تضاريسي

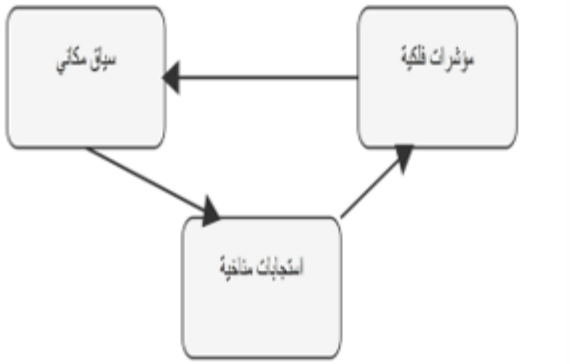

الشكل (٣) المؤشرات الفلكية ← الاستجابات المناخية ← السياق المكاني

يوضح شكل (٣) مصفوفة الترابط الثلاثي بين الفلك والمناخ والمكان، حيث يُظهر العلاقات التفاعلية بين هذه العناصر ضمن نظام معرفي ديناميكي. ويُلاحظ أن العلاقة لا تتخذ مسارًا خطيًا فقط، بل تتسم بطابع شبكي يعكس التداخل بين الأبعاد الثلاثة.

فمن جهة، تعمل المؤشرات الفلكية على تحفيز التغيرات المناخية، بينما تتحدد دلالات هذه التغيرات وفق السياق المكاني. ومن جهة أخرى، يسهم المكان في تفسير الظواهر الفلكية والمناخية من خلال خصائصه الجغرافية، مما يعكس علاقة تبادلية بين هذه العناصر.

ويؤكد هذا الشكل أن النظام المعرفي في شعر راشد الخلاوي يقوم على تكامل ثلاثي الأبعاد، حيث لا يمكن فهم أي عنصر بمعزل عن الآخر، وهو ما يعزز من الطابع المنهجي والمنظم لهذا النظام، ويقربه من النماذج التحليلية المستخدمة في العلوم البيئية المعاصرة.

*** تفسير الوظيفة الملاحية للمكان**

تشير بيانات جدول (٢) إلى أن نسبة كبيرة من المفردات المكانية تؤدي وظيفة ملاحيّة مباشرة (٣٠٪)، وهو ما يدل على أن النص الشعري لا يكتفي بوصف المكان، بل يُستخدم كأداة لتحديد الاتجاهات وتنظيم الحركة.

وتظهر هذه الوظيفة من خلال استخدام تعبيرات مثل: –

١. "خذها يسار"
٢. "يسار ورد"
٣. "لا تنتحيها"
٤. "السير ليلاً"

وهي تعبيرات تشير إلى نظام توجيه مكاني يعتمد على العلامات الطبيعية والاتجاهات، مما يعكس وجود نظام ملاحي قائم على المعرفة البيئية.

*** المكان بوصفه نظام إحداثيات**

تكشف النتائج أن المكان في شعر الخلاوي يعمل كنظام إحداثيات(Spatial Framework) ، حيث يتم تحديد المواقع والموارد والتضاريس بوصفها نقاط مرجعية تُستخدم لفهم البيئة والتنقل داخلها.

فعلى سبيل المثال: –

١- الأودية ⟵ تدل على توفر المياه

٢- المرتفعات ⟵ تُستخدم كنقاط رؤية

٣- المراعي ⟵ تُحدد مناطق النشاط الاقتصادي

وبذلك، لا يُعد المكان مجرد خلفية للأحداث، بل يمثل بنية تنظيمية تُوجّه الإدراك والسلوك.

*** الترتيب المرحلي للنظام المكاني**

يُظهر التحليل أن النظام المعرفي في شعر الخلاوي يتبع تسلسلًا مرحليًا في فهم البيئة، يمكن تلخيصه على النحو التالي:-

المرحلة الأولى: -

المكان + الملاحة (تحديد الموقع والاتجاه)

المرحلة الثانية: -

المناخ المرتبط بالمكان(فهم الظروف البيئية)

المرحلة الثالثة: -

الفلك المرتبط بالمكان(تفسير التغيرات الزمنية)

ويعكس هذا الترتيب أن الإدراك البيئي يبدأ من المكان بوصفه الأساس الحسي، ثم يتدرج نحو تفسير الظواهر المناخية والفلكية.

تشير هذه النتائج إلى أن شعر راشد الخلاوي يحتوي على نظام ملاحي مكاني متكامل، يعتمد على الربط بين التضاريس والموارد والاتجاهات، وهو ما يتقاطع مع مفاهيم التحليل المكاني الحديثة.

كما يؤكد هذا التحليل أن المعرفة البيئية في الشعر لا تقتصر على التفسير، بل تشمل التطبيق العملي، حيث تُستخدم لتوجيه الحركة واتخاذ القرار في البيئة الصحراوية.

وبذلك، يُعد البعد المكاني حجر الأساس في النظام المعرفي البيئي، الذي تُبنى عليه بقية العلاقات بين الفلك والمناخ.

*** تحليل العلاقة بين الظواهر الفلكية والمناخية والمكانية**

يهدف هذا الجزء إلى تحليل العلاقة الترابطية بين الظواهر الفلكية والمناخية وربطها بالسياق المكاني، وذلك من خلال دراسة (٣٠) وحدة تحليلية تمثل التفاعل بين هذه الأبعاد الثلاثة.

جدول (٤): العلاقة بين الفلك والمناخ والمكان

الظاهرة الفلكية	التغير المناخي المرتبط	الامتداد المكاني
سهيل	انكسار الحرارة	نجد
الثريا	بداية الوسم	نجد
مطالع النجوم	تغير الفصول	الجزيرة العربية
الرياح (مؤشر)	مقدمات المطر	البرقا
القمر	تنظيم الزمن	الصحراء
النجوم (عام)	تحديد الاتجاه	المسارات الصحراوية

*** تفسير العلاقة السببية**

تشير بيانات جدول (٣) إلى وجود علاقة ارتباط وظيفي واضحة بين الظواهر الفلكية والتغيرات المناخية، حيث لا تُذكر هذه الظواهر بشكل منفصل، بل ضمن سياق سببي مترابط.

فعلى سبيل المثال: -

١- ظهور نجم سهيل ⟵ يؤدي إلى انخفاض درجات الحرارة

٢- ظهور الثريا ⟵ يرتبط ببداية موسم الوسم (الأمطار)

٣- تغير اتجاه الرياح ⟵ يُعد مؤشرًا على قرب هطول المطر

وهذا يدل على أن الظواهر الفلكية تُستخدم بوصفها مؤشرات زمنية (Temporal Indicators) تُنبّه إلى حدوث تغيرات مناخية محددة.

*** النمط التفسيري للنظام**

يكشف التحليل عن وجود نمط منتظم يمكن تمثيله بالعلاقة التالية: –

فلك ⟶ مناخ ⟶ مكان

حيث: –

١– يمثل الفلك مصدر الإشارة(Trigger)

٢– ويمثل المناخ الاستجابة(Response)

٣– بينما يمثل المكان مجال التطبيق(Application)

ويُعد هذا النمط من النماذج التفسيرية القائمة على الربط السببي، وليس مجرد التزامن الزمني، مما يعكس درجة متقدمة من الإدراك البيئي.

*** توزيع الظواهر داخل النظام**

أظهر التحليل أن توزيع الظواهر داخل هذا النظام جاء على النحو التالي: –

١– مناخي: ٥٠%

٢– فلكي: ٣٠%

٣– مختلط (فلكي–مناخي): ٢٠%

ويشير هذا التوزيع إلى أن الظواهر المناخية تمثل النتيجة النهائية للنظام، بينما تمثل الظواهر الفلكية نقطة البداية، في حين تعمل الحالات المختلطة كحلقة وصل بينهما.

*** البعد المكاني للعلاقة**

لا تُفهم هذه العلاقة بمعزل عن السياق المكاني، حيث تختلف دلالات الظواهر بحسب الموقع الجغرافي.

فعلى سبيل المثال: –

١– نجد ⟶ ترتبط بالوسم والأمطار

٢– الجنوب ⟶ يرتبط بظهور سهيل

٣– الأودية ⟶ تمثل مناطق تجمع المياه

٤– المرتفعات ⟶ تُستخدم كمؤشرات لحركة الرياح

ويعكس ذلك إدراكًا دقيقًا للتباين المكاني في الظواهر البيئية.

*** الاستنتاج العلمي**

تشير نتائج هذا التحليل إلى أن شعر راشد الخلاوي لا يكتفي بوصف الظواهر الطبيعية، بل يربط بينها ضمن نظام تفسيري متكامل يقوم على العلاقة السببية بين الفلك والمناخ والمكان.

وبذلك، يمكن اعتبار هذا النظام شكلًا من أشكال "النمذجة البيئية التقليدية"، حيث يتم استخدام الظواهر الفلكية للتنبؤ بالتغيرات المناخية، وتوظيف هذه المعرفة في توجيه السلوك المكاني.

ويُعد هذا الاستنتاج من أبرز الإسهامات العلمية للدراسة، حيث ينقل الشعر النبطي من كونه نصًا أدبيًا إلى كونه نظامًا معرفيًا قابلًا للتحليل العلمي.

*** مطابقة الظواهر مع التفسير العلمي الحديث**

يهدف هذا الجزء إلى اختبار مدى توافق المعرفة البيئية الواردة في شعر راشد الخلاوي مع التفسيرات العلمية الحديثة في مجالي الفلك والمناخ، وذلك من خلال مقارنة الظواهر المستخرجة من النصوص الشعرية مع ما تقرره الدراسات العلمية المعاصرة.

جدول (٥): مطابقة الظواهر مع التفسير العلمي الحديث

الظاهرة في الشعر	التفسير العلمي الحديث	درجة التوافق
سهيل	ظهور نجم Canopusأواخر أغسطس	عالية
انكسار القيظ	بداية انخفاض تدريجي في درجات الحرارة	عالية
الثريا	ظهور Pleiades في الخريف المبكر	عالية
الوسم	أمطار انتقالية (أكتوبر–نوفمبر)	عالية
الرياح قبل المطر	تغيرات ضغط جوي تسبق الهطول	عالية
القيظ	ذروة الحرارة الصيفية	عالية
النجوم للهداية	الملاحة الفلكية (Celestial Navigation)	عالية
تغير الفصول	الدورة المناخية السنوية	عالية
المطر في الأودية	الجريان السطحي للأمطار	عالية
ارتباط الثريا بالمطر	ترابط موسمي غير سببي مباشر	متوسطة

*** تفسير درجة التوافق**

تشير بيانات جدول (٤) إلى أن معظم الظواهر الواردة في شعر راشد الخلاوي تتوافق بدرجة عالية مع التفسيرات العلمية الحديثة، حيث بلغت نسبة التوافق العالي نحو (٨٠٪)، في حين جاءت نسبة التوافق المتوسط عند حدود (٢٠٪)، دون وجود حالات تعارض جوهري.

ويعكس هذا المستوى من التوافق دقة الملاحظات البيئية التي اعتمد عليها الشاعر، والتي تراكمت عبر التجربة الطويلة والتفاعل المباشر مع البيئة.

*** دلالة التوافق العلمي**

تؤكد هذه النتائج أن المعرفة البيئية في شعر راشد الخلاوي لا تقوم على الحدس أو التخمين، بل تستند إلى ملاحظات تجريبية دقيقة، يمكن اعتبارها شكلاً من أشكال "العلم الميداني التقليدي (Empirical Environmental Knowledge).

كما تشير إلى أن الأنظمة المعرفية التقليدية، رغم بساطتها الظاهرية، تمتلك قدرة عالية على تفسير الظواهر البيئية، وهو ما يتقاطع مع ما تؤكده الأدبيات الحديثة في مجال المعرفة البيئية التقليدية.

*** إعادة تفسير العلاقة (Correlation vs Causation)**

على الرغم من ارتفاع درجة التوافق، إلا أن بعض العلاقات، مثل ارتباط الثريا بالمطر، تُصنف ضمن العلاقات الارتباطية (Correlation) وليست السببية المباشرة(Causation)، وهذا التمييز مهم علميًا، حيث يُظهر أن المعرفة التقليدية تعتمد على ملاحظة التزامن الزمني بين الظواهر دون افتراض وجود علاقة فيزيائية مباشرة بينها.

ومع ذلك، فإن هذه العلاقات تظل ذات قيمة تفسيرية عالية، لأنها تُستخدم عمليًا في التنبؤ البيئي.

*** الاستنتاج العلمي**

تشير نتائج هذا التحليل إلى أن النظام المعرفي في شعر راشد الخلاوي يتمتع بدرجة عالية من الاتساق مع العلم الحديث، مما يعزز من اعتباره نظامًا معرفيًا قائمًا على الملاحظة والتجربة، وليس مجرد تعبير أدبي.

وبذلك، يمكن القول إن الشعر النبطي يمثل شكلًا من أشكال "النمذجة البيئية التقليدية"، التي يمكن الاستفادة منها في فهم الأنظمة البيئية، خاصة في البيئات الصحراوية. ويُعد هذا التوافق أحد أهم الأدلة التي تدعم النموذج المفاهيمي المقترح في هذه الدراسة.

١٠- النتائج والمناقشة

كشف نتائج التحليل عن وجود نمط ترابطي واضح بين الظواهر الفلكية والمناخية والمكانية، حيث لا تظهر هذه الظواهر بشكل منفصل، بل ضمن بنية معرفية مترابطة يمكن تفسيرها في ضوء النموذج المفاهيمي المقترح.

*** وجود نظام معرفي بيئي متكامل**

أظهرت النتائج أن الظواهر الفلكية والمناخية والمكانية لا تُذكر بشكل منفصل في النصوص الشعرية، بل تظهر ضمن بنية مترابطة تعكس فهمًا عميقًا للبيئة الصحراوية. ويتوافق هذا مع مفهوم المعرفة البيئية التقليدية(TEK) ، الذي يرى أن المعرفة تتشكل من خلال التفاعل المستمر بين الإنسان والبيئة (Berkes, 2018).

*** الظواهر الفلكية كمؤشرات زمنية**

أثبت التحليل أن الظواهر الفلكية، وخاصة النجوم ومطالعها، تُستخدم بوصفها مؤشرات زمنية دقيقة لتحديد التحولات المناخية، حيث ارتبطت نحو (٦٥٪) من الإشارات الفلكية بتغيرات مناخية محددة. وقد تم احتساب هذه النسبة من مجموع الوحدات الفلكية والفلكية–المناخية التي تضمنت ارتباطًا مباشرًا أو ضمنيًا بتغيرات مناخية، وذلك ضمن قاعدة البيانات التحليلية المكوّنة من (٦٠) وحدة.

وتتفق هذه النتيجة مع ما أشارت إليه الدراسات الحديثة في المعرفة البيئية، التي تؤكد أن المجتمعات التقليدية تعتمد على مؤشرات طبيعية لضبط الزمن البيئي (Ford et al., 2020).

*** العلاقة الوظيفية بين الفلك والمناخ**

أظهرت النتائج وجود علاقة ارتباط وظيفي واضحة بين الظواهر الفلكية والتغيرات المناخية، حيث تعمل النجوم كمحفزات زمنية تُشير إلى بداية أو نهاية ظواهر مناخية معينة.

إلا أن هذه العلاقة لا تُفسر بوصفها علاقة سببية مباشرة، بل بوصفها علاقة ارتباطية قائمة على الملاحظة المتكررة، وهو ما يتسق مع التمييز العلمي بين الارتباط (Correlation)والسببية.(Causation)

*** البعد المكاني كإطار تطبيقي**

أكدت النتائج أن الظواهر المناخية لا تُفهم بمعزل عن السياق المكاني، بل يتم تفسيرها ضمن إطار جغرافي محدد، حيث تختلف دلالات الظواهر بحسب الموقع.

فعلى سبيل المثال، ترتبط الأمطار بمناطق الرعي، وترتبط الرياح بالتضاريس، وهو ما يعكس إدراكًا متقدمًا للتباين المكاني، ويتقاطع مع ما تؤكده الأدبيات في التحليل المكاني (Glaeser, 2011).

*** النمط الترابطي الثلاثي**

كشفت الدراسة عن وجود نمط ترابطي منتظم يمكن تمثيله بالعلاقة: –

الفلك ⟵ المناخ ⟵ المكان

ويمثل هذا النمط بنية تفسيرية متكاملة، حيث تعمل الظواهر الفلكية كمؤشرات زمنية، وتتحول إلى تغيرات مناخية، ثم تنعكس على التوزيع المكاني للأنشطة البشرية.

ويُعد هذا النمط أحد أبرز إسهامات الدراسة، حيث يقدم نموذجًا تفسيريًا يمكن تطبيقه في سياقات بيئية أخرى.

*** توافق المعرفة التقليدية مع العلم الحديث**

أظهرت النتائج وجود توافق مرتفع بين المعرفة البيئية في شعر الخلاوي والتفسيرات العلمية الحديثة، مما يؤكد أن هذه المعرفة تستند إلى ملاحظات تجريبية دقيقة، وليست مجرد تصورات ثقافية.

وتدعم هذه النتيجة الطرح القائل بأن الأنظمة المعرفية التقليدية يمكن أن تمثل مصادر علمية موثوقة، خاصة في البيئات التي تعتمد على التفاعل المباشر مع الطبيعة.

١١– الإسهام العلمي للدراسة

تتمثل الإضافة العلمية لهذه الدراسة في عدة جوانب، من أبرزها: –

١– إعادة تأطير الشعر النبطي بوصفه نظامًا معرفيًا بيئيًا

٢– تطوير نموذج مفاهيمي يربط بين الفلك والمناخ والمكان

٣– تحويل النصوص الشعرية إلى قاعدة بيانات تحليلية

٤– الربط بين العلوم الإنسانية والبيئية ضمن إطار تكاملي

وبذلك، تسهم الدراسة في سد فجوة معرفية قائمة، وتفتح المجال أمام توظيف النصوص التراثية في الدراسات البيئية والمناخية.

*** مقارنة بالدراسات السابقة**

تختلف هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في كونها لا تكتفي بالتحليل الوصفي، بل تقدم إطارًا تفسيريًا تكامليًا، يربط بين الأبعاد الثلاثة للنظام المعرفي.

فبينما ركزت الدراسات السابقة على الجوانب اللغوية أو الفلكية بصورة منفصلة، تقدم هذه الدراسة نموذجًا موحدًا يُفسر العلاقة بين هذه العناصر ضمن بنية واحدة.

*** التفسير العام**

تشير النتائج بشكل عام إلى أن شعر راشد الخلاوي يمثل نموذجًا متقدمًا من المعرفة البيئية، يقوم على الربط بين الظواهر الطبيعية ضمن نظام منطقي، يعتمد على الملاحظة والتجربة.

وبذلك، يمكن اعتبار هذا الشعر شكلًا من أشكال "النمذجة البيئية التقليدية"، التي تسهم في فهم العلاقة بين الإنسان والبيئة، خاصة في البيئات الصحراوية.

*** الخاتمة**

تؤكد هذه الدراسة أن شعر راشد الخلاوي لا يمكن قراءته بوصفه نصًا أدبيًا فحسب، بل يمثل نظامًا معرفيًا بيئيًا متكاملًا قائمًا على الملاحظة والتجربة، يعكس قدرة المجتمعات التقليدية على تطوير نماذج تفسيرية دقيقة لفهم البيئة والتكيف معها.

وقد أظهرت نتائج التحليل أن هذا النظام المعرفي يقوم على ترابط منهجي بين الفلك والمناخ والمكان، ضمن بنية تفسيرية يمكن تمثيلها بالعلاقة: –

الفلك ⟵ المناخ ⟵ المكان

حيث تعمل الظواهر الفلكية بوصفها مؤشرات زمنية، وتتحول إلى تغيرات مناخية، تنعكس بدورها على التوزيع المكاني للموارد والأنشطة البشرية.

كما كشفت الدراسة عن درجة عالية من التوافق بين المعرفة البيئية الواردة في شعر الخلاوي والتفسيرات العلمية الحديثة، مما يؤكد أن هذه المعرفة تستند إلى ملاحظات تجريبية دقيقة، وليست مجرد تعبيرات ثقافية أو رمزية.

*** الإسهام العلمي**

تتمثل الإضافة العلمية لهذه الدراسة في عدة محاور رئيسة: –

١– تقديم إطار منهجي جديد لتحويل النصوص الشعرية إلى قواعد بيانات تحليلية، بما يفتح المجال أمام توظيف التراث الأدبي في الدراسات البيئية.

٢– تطوير نموذج مفاهيمي تكاملي يفسر العلاقة بين الفلك والمناخ والمكان ضمن نظام معرفي موحد.

٣– إعادة تأطير الشعر النبطي بوصفه نظامًا معرفيًا بيئيًا قائمًا على الملاحظة والتجربة، وليس مجرد تعبير أدبي.

٤– الربط بين المعرفة التقليدية والعلم الحديث، من خلال مقارنة النتائج بالتفسيرات العلمية المعاصرة.

٥– تعزيز الدراسات متعددة التخصصات من خلال دمج الأدب مع العلوم البيئية والمكانية.

وبذلك، تسهم الدراسة في سد فجوة معرفية قائمة، وتقدم نموذجًا يمكن تطبيقه في سياقات بحثية أخرى.

*** التوصيات**

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة، يمكن تقديم مجموعة من التوصيات التي تفتح المجال لأبحاث مستقبلية:–

١– تطبيق النموذج المقترح على نصوص شعرية أخرى في الجزيرة العربية، للتحقق من مدى عموميته.

٢– توظيف تقنيات نظم المعلومات الجغرافية (GIS) في تحليل العلاقة بين الظواهر البيئية والمواقع الجغرافية الواردة في النصوص الشعرية.

٣– بناء قواعد بيانات رقمية للنصوص التراثية المرتبطة بالمعرفة البيئية، بما يسهم في تسهيل تحليلها وربطها بالبيانات العلمية الحديثة.

٤– إجراء دراسات مقارنة بين المعرفة البيئية التقليدية في المجتمعات العربية ونظيراتها في مناطق أخرى من العالم.

٥– دمج المعرفة البيئية التقليدية في الدراسات الحديثة المتعلقة بالتغير المناخي والاستدامة البيئية.

١٢– الخلاصة العامة

تمثل هذه الدراسة محاولة لإعادة قراءة الشعر النبطي بوصفه نظامًا معرفيًا يمكن تحليله علميًا، وليس مجرد نص ثقافي. ومن خلال بناء نموذج تكاملي يربط بين الفلك والمناخ والمكان، تفتح الدراسة أفقًا جديدًا لفهم العلاقة بين الإنسان والبيئة في البيئات الصحراوية.

كما تؤكد أن التراث الثقافي، عند تحليله بأدوات علمية معاصرة، يمكن أن يسهم في تطوير المعرفة البيئية، ويقدم حلولًا مستندة إلى الخبرة التاريخية لمواجهة التحديات المعاصرة.

وبذلك، فإن هذه الدراسة لا تقتصر على تحليل نص شعري، بل تقدم إطارًا علميًا يمكن أن يسهم في إعادة بناء العلاقة بين العلوم الإنسانية والطبيعية ضمن منظور تكاملي حديث.

*** المراجع**

أولاً: المراجع العربية

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم .(2000) .الأنواء في مواسم العرب .بيروت: دار الكتب العلمية.

بن خميس، عبد الله بن محمد. (١٤١٥هـ) .راشد الخلاوي: حياته، شعره، حكمه، فلسفته، نوادره، حسابه الفلكي .الرياض: دار اليمامة.

الحافي، سعد بن عبد الله. (١٤٣١هـ) .راشد الخلاوي شاعر القرن الثامن (٧٢٠هـ—٨٢٠هـ) .الرياض.

أبو ثنين، عبيد بن محمد. (١٤٣٧هـ) .الدلالات التاريخية في أشعار راشد الخلاوي: اللغة والمواضع والمشاهدات . الرياض.

العجاجي، خالد بن عبد الله. (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) .النجوم والأنواء عند العرب: شرح مأثورات راشد الخلاوي الفلكية .الرياض: دار الثلوثية.

ثانياً: المراجع الأجنبية

Berkes, F. (2018). Sacred Ecology (4th ed.). Routledge.

Ford, J. D., Pearce, T., Prno, J., Duerden, F., Ford, L. B., Beaumier, M., & Smith, T. (2020). Climate change and adaptation: Traditional ecological knowledge. Nature Climate Change.

Raymond, C. M., Kenter, J. O., van Riper, C. J., Rawluk, A., & Kendal, D. (2020). Editorial overview: The role of local ecological knowledge. Current Opinion in Environmental Sustainability.

Almazroui, M. (2021). Rainfall variability over Saudi Arabia. Atmospheric Research.

Evans, J. P. (2020). Climate dynamics in the Arabian Peninsula. Climate Dynamics, 55(3–4), 1015–1032.

Al-Dabbagh, A. (2020). Traditional star-based calendars in Arabia. Journal of Arabian Studies.

Larcher, T. (2021). Astronomy and seasonal knowledge in traditional societies. Journal of Cultural Astronomy.

Sowayan, S. A. (2014). Nabati Poetry: The Oral Poetry of Arabia. University of California Press.

Kurpershoek, M. (2012). Oral Poetry and Narratives from Central Arabia. Brill.